التفسير التربوي

obeikandl.com

obeikandl.com

التفسير التربوى

هناك، فى حدو علمى، ثلاثة كتب على الأقل فى مجال التفسير التربوى، وكلها صدرت فى الأعوام الأخيرة: فأما أولها فكتاب " التفسير التربوى للقرآن الكريم " لأنور الباز، وهو فى ثلاثة مجلدات كبار. وقد وضح المؤلف منهجه فى الكتاب بقوله:

١- حرصنا على أن نُبْقِيَ على الشكل المصحفي للقرآن الكريم على طبعته المعروفة بمصحف المدينة المنورة، وهو بهذا الشكل يجمع بين كونه مصحفًا وكونه تفسيرًا، مما يستفاد منه في القراءة والحفظ.

٢- قمنا ببيان معاني المفردات أو الكلمات القرآنية التي يصعب على القارئ غير المتخصص معرفتها، وبطريقة مختصرة وكافية.

٣- ذكرنا الأهداف الإجرائية لكل مقطع، وذلك بأبعادها الثلاثة المعروفة: المعرفية، والوجدانية، والسلوكية، باعتبار أن القرآن يخاطب العقل، وينمي الوجدان، ويهذب السلوك، فتناولنا بعضها أو كلها في نقاط حسب طبيعة الآيات، وقبل الدخول في بيان المحتوى التربوي، وذلك بجعلها في نقاط حتى يسهل تحصيلها وتذكرها واستدعاؤها دونما عناء.

٤- ذكرنا المحتوى التربوي للآيات، وهو شرح يتناسب والأهداف التربوية التي نسعى إلى إبرازها وربطها بالواقع، والتركيز على التناول التربوي دون إسهاب أو تفريط. وقد حرصنا أن نضمّن هذا التفسير

خلاصة التفاسير التي هي أقرب إلى موضوعنا، ولها اهتمام في هذا الشأن كثر أو قل، بحيث يشكل في مجمله خلاصة ما حوته هذه التفاسير في هذا الموضوع، أمثال " في ظلال القرآن " لشهيد الدعوة والعقيدة سيد قطب، و " الأساس في التفسير " للداعية الرباني سعيد حوى، و " مقاصد القرآن الكريم " للإمام الداعية المجدد حسن البنا، و " زهرة التفاسير " للإمام محمد أبي زهرة و " تفسير المنار " للشيخ العلامة محمد رشيد رضا، بالإضافة إلى أمهات كتب التفسير أمثال: تفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير وغيرها.

٥- وأخيرًا قمنا ببيان ما ترشد إليه الآيات تربويًا، وذلك في نقاط واضحة محددة يستطيع القارئ أن يضعها مستهدفًا له خلال فترة زمنية ليقوم بتحقيقها في واقعه الحياتي، وتكون مقياسًا على مدى عمله بما تعلمه من القرآن، اقتداء بما كان عليه سلفنا الصالح صحابة رسول الله عليه وسلم الذين كانوا لا يتجاوزون العشر آيات حتى يتعلموها ويعملوا بما فيها، فتعلموا العلم والعمل". ويقوم عمل المؤلف على تقسيم السورة الطويلة إلى أجزاء ثم تناول تلك الأجزاء واحدا تلو الآخر، أما السورة القصيرة فيأخذها كاملة. وهو يبدأ بغريب الألفاظ فيشرحها تحت عنوان " معانى الكلمات "، ثم يثني بعنوان " الأهداف الإجرائية والسلوكية "، ذاكرا إياها في نقاط محددة، لينتقل بعد هذا إلى " المحتوى التربوى "، أى ما تتضمنه الآيات الكريمة من معان تربوية.

وأما الكتاب الثانى فهو " ملامح التفسير التربوي للقرآن الكريم " للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري. وينقسم الكتاب إلى عدة فصول:

الفصل الأول " معالم من التفسير والتربية "، وفيه مبحثان: الأول تفسير القرآن الكريم، ويشتمل على ثلاثة مطالب هي تعريف التفسير، ومقاصد القرآن ومعانيه، وأنواع التفاسير. والثاني التربية، وفيه مطلبان: تعريف التربية، والتربية لدى المجتمعات البشرية. ثم الفصل الثاني: " مفهوم التربية القرآنية والتفسير التربوي "، وفيه مبحثان: التربية القرآنية، ويشتمل على ثلاثة مطالب هي: مكانة التربية القرآنية وأهميتها، ومعاني التربية في القرآن ومدلولاتها، ومنهج القرآن الكريم في التربية. والمبحث الثاني مقومات التفسير التربوي للقرآن الكريم، وفيه مطلبان هما أهمية ذلك النوع من التفسير والحاجة إليه، ثم مقاصده.

والآن مع الكتاب الثالث فى هذا الموضوع، وهو " التفسير التربوى للقرآن الكريم " للدكتور كمال المويل. وسوف أدع القارئ لما كتبه المؤلف فى مقدمة ذلك الكتاب، ثم أثنّى فأنقل له ما سطرته يراعته فى تفسير الآيات الثلاثة الأولى من سورة " الفاتحة ". ونبدأ بمقدمة الكتاب التى يقول فيها صاحبها " حينما نزل القرآن الكريم لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يتعاطون تفسيره، ولم يكن رسول الله ﷺ يفسّر من القرآن لأصحابه إلا ما أشكل منه عليهم، وفي هذا المجال تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: " لم يكن النبي ﷺ يفسر شيئا من القرآن إلا آيًا بعددٍ، علمهن إياه جبريل عليه السلام " (الطبري). وإنما كان همّ صحابة رسول الله ﷺ منصبا على تطبيق القرآن والعمل به، وكان كل واحد منهم كالجندي في الثكنة ينتظر الأوامر للتنفيذ، فكان نزول القرآن بمثابة الأوامر. وبهذا المعنى رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم

يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن (الطبري). ورُوِيَ عن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وأُبَيّ بن كعب رضي الله عنهم " أنّ رسول الله كان يُقْرِئهم العَشْر، فلا يجاوزونها إلى عَشْرٍ أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمنا القرآن والعمل جميعا " (الطبري والقرطبي). وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: " إنا صَعُب علينا حفظ ألفاظ القرآن وسَهُل علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به " (القرطبي). وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنه: " كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها ورُزِقُوا العمل به، وإنّ آخر هذه الأمة يقرأون القرآن، منهم الصبي والأعمى، ولا يُرْزَقون العمل به " (القرطبي).

وهذا الربط بين العلم والعمل هو جوهر التربية. وبهذا المعنى نجد أنه كان يتربى على نزول القرآن جيل من البشر أصبح فيما بعد جيلا فريدا لأنّ القرآن كان بالنسبة له كتابا في التربية. فالقرآن، كما نرى وقبل كل شيء، كتابٌ في التربية. هكذا كان بالنسبة لأصحاب رسول الله ﷺ، وكذلك كان بالنسبة إلى رسول الله ﷺ، فقد سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُق رسول الله ﷺ، فقالت: " كان خُلقه القرآن " (أحمد)، أي إنه من شدة عمله بالقرآن صار مصحفا يمشي على الأرض.

تعهد الله رسوله بالتربية، فقال رسول الله ﷺ: «**أدّبني ربي فأحسن تأديبي**» (القرطبي). وهذا الحديث، وإن كان فيه مقال، فإنه يشهد لصحة معناه قوله تعالى في حق رسوله: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾} [الضحى: ٦ - ١١]. والله تعالى هو رب العالمين، وكلمة " الرَّبّ " مشتقة من التربية، وهي تحمل معاني العناية والرعاية والإصلاح والتأديب. ورسول الله ﷺ هو المربي الأول لهذه الأمة بالقرآن، فقد أشرف على تربية جيل من الناس فكان ذلك الجيل ظاهرة فريدة عجيبة في التاريخ لم يشهد التاريخ لها مثيلا حتى الآن. ودليلنا على ذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾} [الجمعة: ٢].

وفي القرآن نجد أهداف التربية ومواضيعها السبعة، وهي التربية العقيدية، والتربية الخُلقية، والتربية الجسمية، والتربية العقلية، والتربية النفسية، والتربية الاجتماعية، والتربية الجنسية. وكذلك نجد في القرآن الوسائل التربوية الكثيرة والمتعددة، ونذكر منها التربية بالترغيب، والتربية بالترهيب، والتربية بالترغيب والترهيب معا، والتربية بالعقوبة الدنيوية، والتربية بالعقوبة الأخروية، والتربية بالقصة، والتربية بالمثل، والتربية بالجدل " (الحوار)، والتربية بالموعظة، والتربية بالقدوة، والتربية بالعادة، والتربية بالعبادة، والتربية بالأحداث، والتربية بتدرج الأحكام، والتربية بالملاحظة والنظر، والتربية بالصحبة، والتربية من خلال الربط بالعقيدة، والتربية من خلال تعرية الشر، والتربية من خلال تغيير البيئة، وغير ذلك من الوسائل التربوية. وكذلك نجد اهتمام القرآن منصبًّا على المؤسسات التربوية، كمؤسسة الأسرة، وهي أهم المؤسسات التربوية في الإسلام، ومؤسسة المسجد، ومؤسسة المدرسة (مجالس العلم)، ومؤسسة الزكاة، ومؤسسة الصلاة، ومؤسسة الصيام، ومؤسسة

الحج، ومؤسسة القضاء، ومؤسسة المجتمع بشكل عام، وغير ذلك.

لقد انصبّ اهتمام الناس في هذا الزمان وفي الأزمنة التي قبله على تفسير القرآن ومعرفة معاني المفردات ومعاني الجمل والآيات، وذلك لتدني مستوى اللغة، فحال هذا الاهتمام بالتفسير دون التطبيق، وتحوّل القرآن إلى كتاب يحتاج إلى تفسير بعد أن كان كتابا يحتاج إلى تطبيق. ولا شك أن تفسير القرآن وفهم معانيه أساس في التطبيق، ولكن ليس التفسير هدفا بذاته، وإنما هو وسيلة إلى التطبيق والتخلق بأخلاق القرآن والتأدب بأدب الله، أي هو وسيلة إلى التربية. لقد بدأ الاهتمام بالتفسير عندما بدأ يتدنى مستوى اللغة بين المسلمين، وذلك نتيجة دخول الأعاجم في المجتمع الإسلامي. ولعل ذلك يعود إلى زمن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضى الله عنه، حيث لاحظ أبو الأسود الدؤلي بدء اللحن عند أبناء المسلمين، فشكا ذلك إلى الخليفة علي بن أبي طالب، فأمره بتقعيد القواعد، وضرب له مثلا في الفعل والفاعل والمفعول به، فقال: " ضرب زيد عمروا "، انح نحو هذا، ومنه سُمِّيَ: " علم النحو ". والمفسرون الأوائل من الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يكونوا يفسرون القرآن كلمة كلمة، وإنما كانوا يفسرون من القرآن ما أشكل على الناس، فربما فسروا في الآية الواحدة الكلمة والكلمتين، وربما لم يفسروا فيها شيئا، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله: " لم يصحّ عن ابن عباس في التفسير إلا ما يقارب مائة حديث (الإتقان في علوم القرآن). ومع تقدم الزمن نشأت الحاجة إلى تفسير القرآن كلمة كلمة، ولعلنا نجد هذا المنهج عند إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (٢٢٤- ٣١٠هـ)، حيث جمع ما قاله

المفسرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأتم تفسير الكلمات والجمل والآيات التي لم يذكر فيها الصحابة والتابعون وتابعوهم شيئا... فجاء تفسير الطبري تفسيرا كاملا للقرآن بكلماته وجمله وآياته.

والاهتمام بالتفسير قلل من الاهتمام بالتربية، وخاصة في هذا الزمان، حيث لا نجد من يمارس التربية والتزكية إلا من رحم ربك. فالمسلم في مجتمعاتنا الآن لا يتلقى التربية غالبا، لا في البيت ولا في المدرسة ولا في المسجد ولا في الشارع، وقد نجد الحالة المعاكسة، فنجد التربية الهدامة قد شاعت في سائر المؤسسات. ومع أنّ الأمم تعود إلى التربية خاصة بعد الهزائم كملاذ وملجأ لتجنب الهزائم المقبلة، فإنّ الأمة الإسلامية الآن قد أهملت التربية وأدارت لها ظهرها، ولم تتنبه لها رغم كل الهزائم التي حاقت بها. والمسلمون الآن قد أداروا ظهورهم لطريق التربية حتى صار التدين مجرد خطب ومواعظ يستمع إليها المسلم: إن شاء ذكرها وإن شاء نسيها، وإن شاء عمل بها وإن شاء تركها، وإن شاء عمل ببعضها وترك بعضها. والداعية المسلم خطيبا كان أم شيخا أم مدرسا أم غير ذلك، قد تخلى عن طريق التربية وتحول إلى طريق " قل كلمتك وامش "، فهو كالمزارع الذي يبذر البذور ويتركها لتقلب المناخ.

لقد كتب كثير من الباحثين المسلمين كتبا وكتيبات ورسائل في التربية من حيث الأهداف والوسائل والمؤسسات، ولكنهم لم يقوموا بدراسة تطبيقية في كتاب الله مفنِّدين هذه الأهداف والوسائل والمؤسسات من خلال آيات القرآن واحدة فواحدة حسب ترتيب المصحف، حيث يظهر القرآن الكريم كدستور في التربية. وهذا الكتاب: " التفسير التربوي للقرآن الكريم

" ليس كتابا مختصا في علم التفسير، وإنما هو كتاب في التربية القرآنية يبحث في المدلولات التربوية لآيات القرآن، وفي الآثار التربوية التي أنشأتها آيات القرآن في صحابة رسول الله ﷺ، وفي الآثار التربوية التي يمكن أن تنشئها الآيات القرآنية في أي جيل يتعامل مع القرآن كما تعامل معه صحابة رسول الله ﷺ: التلقي للتنفيذ. ومع ذلك فيه تفسير مختصر لآيات القرآن، لأنه لا يمكن فهم المدلول التربوي والأثر التربوي للآية ما لم يكن معناها واضحا للقارئ.

وقد راجعت أثناء كتابة المدلول التربوي والأثر التربوي لكل آية مجموعة من أمهات التفاسير المتعددة عند علماء الأمة، وحاولت أن لا أستنبط من الآية أي معنى يخالف أقوال مفسري الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأذكر من هذه التفاسير تفسير الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن (٣١٠هـ)، وتفسير الرازي: " التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب " (٦٠٤هـ)، وتفسير القرطبي: " الجامع لأحكام القرآن " (٦٧١هـ)، وتفسير ابن كثير " تفسير القرآن العظيم " (٧٤٤هـ)، وتفسير السيوطي: " الدر المنثور في التفسير بالمأثور " (٩١١هـ)، وتفسير الشوكاني: " فتح القدير " (١٢٥٠هـ) ".

هذا ما قاله المؤلف فى مقدمة كتابه، أما نص تفسيره للآيات الثلاث الأولى من سورة الفاتحة فها هو ذا: " فضائل سورة الفاتحة: ورد في السُّنّة أحاديثُ صِحَاحٌ فيها ترغيب في قراءة سورة " الفاتحة " على الإطلاق باعتبارها أعظم سورة في القرآن وأَخْيَر سورة في القرآن، كما ورد في الحديث ما يدل على أنها رُقْيَةٌ يُسْتَرْقَى بها من المرض. كما ورد

ما يدل على أنّ الصلاة لا تصح أو أنها ناقصة ما لم يقرأ فيها المصلي بسورة " الفاتحة ": فعن أبي سعيد بن المُعَلّى رضى الله عنه قال: كنت أصلي فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت فأتيته، فقال: «**ما منعك أن تأتيني؟**». قلت: إني كنت أصلي. قال: " ألم يقل الله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: «**لأعلّمنّك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**». قال: فأخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلّمنك أعظم سورة في القرآن. قال: " نعم. «**الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتِيتُه**» (البخاري). وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأَخْيَر سورةٍ في القرآن؟**». قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**اقرأ الحمد لله رب العالمين تختمها**» (أحمد)... وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج (ثلاثا) غير تمام**». فقيل لأبي هريرة: إنا نكون خلف الإمام. فقال: " اقرأ بها في نفسك " (الترمذي). وقال رسول الله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» (البخاري). وهذا ترهيب لمن ترك قراءتها في الصلاة.

قوله تعالى: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ": قال الإمام الطبري في المدلول التربوي لهذه الآية: " إنّ الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدّب نبيه محمدا ﷺ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدّم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته، وجعل ما أدّبه به من ذلك وعلمه إياه، منه لجميع خلقه سُنّة يستنون بها، وسبيلا يتبعونه عليها فيه افتتاح

أوائل منطقهم، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم ".

الابتداء بـ " بسم الله " هو الأدب التربوي الذي أدّب الله به هذه الأمة، ولذلك ندب الشرع إلى البدء بذكر الله في كل فعل وفي كل قول، وبذلك تكون أفعال المسلم وأقواله عبادة. وهذا ما يتفق مع التصور الإسلامي عن الإلهية، فالله هو الموجود الحق الذي يستمد منه كل موجود وجوده: فباسمه يكون كل ابتداء، وباسمه تكون كل حركة، وباسمه يكون كل قول. ابتدأ نزول القرآن بقوله تعالى: {ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١} [العلق: ١]، واسم الله يذكره المسلم عند كل فعل، كالأكل والشرب والنحر والجماع والطهارة وركوب البحر، إلى غير ذلك من الأفعال، فقال تعالى: {وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ} [هود: ٤١]، وقال تعالى: {إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠} [النمل: ٣٠]، وقال رسول الله ﷺ: «**أغلق بابك واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وخَمِّرْ إناءك واذكر اسم الله، وأَوْكِ سِقَاءك واذكر اسم الله**» (البخاري)، وقال رسول الله ﷺ: «**لو أنّ أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جَنِّبْنا الشيطان، وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يُقَدَّر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضره شيطان أبدا**» (البخاري)، وقال لعمر بن أبي سلمة: " يا غلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك " (البخاري)، وقال ﷺ: «**من لم يذبح فليذبح باسم الله**» (البخاري)، وقال ﷺ: «**سِتْرُ ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول: بسم الله**» (ابن ماجة)... وتستحب التسمية في أول الوضوء لقول رسول الله ﷺ: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**» (الترمذي). وكذلك تستحب التسمية في أول الخطبة لقول رسول الله ﷺ: «**كل كلام أو**

أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله فهو أبتر، أو قال: فهو أقطع» (لأحمد). ومن الفوائد التربوية للبدء باسم الله أن هذا الأدب التربوي رادع عن المعصية في القول والعمل، إذ إنّ المسلم ليحس بالخجل من أن يبدأ فعله للمعصية باسم الله.

وكلمة " الرحمن الرحيم " تستغرق كل معاني الرحمة ومجالاتها وحالاتها، وذِكْرها بعد " بسم الله " معناه: استجلاب الرحمة الإلهية في كل حركة يقوم بها المسلم وفي كل قول يقوله المسلم، إذ لولا رحمة الله بالناس ما عرفوا طريق الطاعة من طريق المعصية، و لولا رحمة الله بالناس ما عرفوا كيف يعبدونه وما استطاعوا أن يفعلوا ذلك.

قوله تعالى: " الْحَمْدُ لِلَّهِ ": إنّ كلمة " الحمد لله " هي الشعور الذي يجيش في قلب كل مؤمن على النعم التي أنعم الله بها على عباده، والتي لا يحصيها عدد. ومعنى قوله تعالى: " الحمد لله "، أي قولوا: الحمد لله. ومن هنا يجب تربية المؤمن على أن يشكر الله في كل لحظة وفي كل حركة وفي كل كلمة وأمام كل نعمة من نعم الله عليه، ابتداءً فيما خلق الله له من عينين وأذنين ولسان وشفتين، وانتهاءً بما سخر الله له من هذا الكون الفسيح الذي يعجّ بالنعم، ومرورًا بطعامه وشرابه ونومه واستيقاظه، ففي صحيح مسلم أنّ رسول الله قال: **«إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»** (مسلم). والحمد لله هي كلمة كل شاكر، و إنّ آدم عليه السلام قال حين عطس: الحمد لله، وقال الله لنوح عليه السلام: {فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} [المؤمنون: ٢٨]، وقال إبراهيم

عليه السلام: { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ } [إبراهيم: ٣٩]، وقال في قصة داود وسليمان: {وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [النمل: ١٥]، وقال لنبيه محمد ﷺ: { وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾} [الإسراء: ١١١]، وقال أهل الجنة: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ} [فاطر: ٣٤]، {وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ } [يونس: ١٠].

وفي سنن ابن ماجة عن ابن عمر رضى الله عنه أنّ رسول الله ﷺ حدّثهم: «**أنّ عبدا من عباد الله قال: يا رب، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فعضّلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء وقالا: يا ربنا، إنّ عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها. قال الله عز وجل، وهو أعلم بما قال عبدُه: ماذا قال عبدي؟ قالا: يا رب، إنه قد قال: يا رب، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدي، حتى يلقاني فأجزيه بها**» (ابن ماجة).

قوله تعالى: {رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ }: كلمة الرب تطلق على المالك، وتطلق على المعبود، وتطلق على السيد، وتطلق على المربي. ولعل أهم ما في هذا المصطلح هو كونه مشتقا من التربية، فالربّ هو المصلح والمدبر والجابر والقائم. يقال لمن قام بإصلاح شيء: قد ربّه فهو له رابٌّ. ومنه سمى " الربانيون " لقيامهم بالكتب. وفي صحيح مسلم ومسند أحمد: " هل لك عليه من نعمة تربّها؟ " (مسلم وأحمد)، أي: تقوم بها وتصلحها. والرب هو المربي. ومنه قولهم: رَبَّ ولده، أي رباه. إنّ معنى قوله تعالى: {رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ } هو أنّ الله متصرف لتربية وإصلاح جميع

الخلائق، وأنه لم يخلق هذا الكون ثم تركه هملا بل يتصرف فيه بالإصلاح والتربية والرعاية، وهذه التربية والرعاية قائمة في كل وقت وفي كل حين، وبذلك يطمئن الإنسان إلى رعاية الله الدائمة والتي لا تنقطع أبدا ولا تغيب.

ومن رعاية الله لهذه الأمة أنه اختار لهم محمدا ﷺ فأدبه ورباه وجعله قدوة للمسلمين، فقال تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾} [الضحى: ٦ - ١١]. ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أدّبني ربي فأحسن تأديبي**» (القرطبي). ومن رعاية الله لهذه الأمة إنزال القرآن الذي هو كلامه، فكان دستورا لرعاية الله للمسلمين الأوائل، ومنهجا تربويا لكل المسلمين من بعدهم.

إنّ كون كلمة الربّ، وهي اسم من أسماء الله تعالى، مشتقةً من التربية، ذو دلالة واضحة على أهمية هذا المنهج، أي منهج التربية. فهو الطريق الذي سلكه الأنبياء مع الأمم التي أرسلوا إليها، وهو الطريق الذي يحتاجه المسلمون في كل زمان، وخاصة في هذا الزمان. فالإسلام لا يقوم بمجرد الدعوة إليه وإقبال الناس على أساس من تلك الدعوة، لا يقوم الإسلام ما لم يتربّ الناس في مدرسة الإسلام، و ذلك بأن يعرفوا تعاليم الإسلام ويمارسوا هذه التعاليم. فالتربية تقوم على ركنين أساسيين هما: العلم والعمل، و ربط العلم بالعمل هو جوهر العملية التربوية وأساسها.

قوله تعالى: " الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ": " الرحمن والرحيم " صيغ مبالغة مشتقة من الرحمة، وصفة " الرحمن الرحيم " تستغرق كل معاني

الرحمة وحالاتها ومجالاتها، والله تعالى وحده المختص باجتماع هاتين الصفتين، كما أنه المختص وحده بصفة الرحمن. وفي مجيء قوله تعالى: " الرحمن الرحيم " بعد قوله تعالى: " رب العالمين " نلمح أمرين تربويين: الأول التأكيد على أنّ الصلة بين الخالق والمخلوق هي صلة الرحمة والرعاية، وهذه هي السمة البارزة في هذه الصلة، فالله تعالى لا يطارد عباده ولا يعاديهم ولا يدبّر لهم المكائد، وإنما هو ربٌّ لهم تعهدهم بالتربية والرعاية، وهو راحم لهم في الدنيا وفي الآخرة. قال عمر رضى الله عنه: قُدِم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى تحلّب ثديها، حتى إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته. فقال رسول الله ﷺ: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟**». قالوا: لا والله. قال: «**فالله أرحم بعباده من هذه بولدها**» (البخاري). والثاني أنّ وصف الله تعالى لنفسه بأنه " رب العالمين "، أي المالك المتصرف الذي بيده كل شيء، معناه الترهيب، وإنّ وصف الله تعالى لنفسه بأنه " الرحمن الرحيم " معناه الترغيب. ومن هنا نجد أنّ النص القرآني قد قرن بين الترغيب والترهيب، فجمع بين صفة الرهبة من الله وصفة الرغبة في الله. ونقف هنا عند أهم الوسائل التربوية في القرآن وهي الترغيب، والترهيب، والجمع بينهما. هذه الوسائل التربوية الثلاثة نجدها في القرآن في مواضع كثيرة، كما نجدها في سنة رسول الله ﷺ وما نقل عنه من أحاديث. ومع أنّ وسائل القرآن في التربية متعددة و كثيرة إلا أنّ هذه الوسائل الثلاثة لها مرتبة الصدارة بالنسبة لبقية الوسائل.

ومن الأمثلة على الوسيلة الأولى، وهي الترغيب، قوله تعالى مخاطبا

المـــــؤمنين: {وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾} [التوبة: ١٠٥]. ومن الأمثلة على الوسيلة الثانية، وهي الترهيب، قوله تعالى مخاطبا الناس: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾} [البقرة: ١٦١ - ١٦٢]. ومن الأمثلة على القرن بين الترغيب والترهيب قوله تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾} [الحجر: ٤٩ - ٥٠]، وكذلك قوله تعالى: {غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ} [غافر: ٣]، وقول رسول الله ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» (مسلم) ".

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

التفسير غير الإسلامى

تفسير القرآن متاح لكل من يريده، سواء كان مسلما أو لا. ومن هنا رأينا كثيرا من غير المسلمين يُدْلُون بدلوهم فى هذا الميدان فيقومون بتفسير القرآن على نحو أو على آخر. ومن هؤلاء القاديانيون والبهائيون، وكذلك المستشرقون الذين لم يدخلوا الإسلام. ونبدأ بالقاديانيين، الذين يقولون عن أنفسهم إنهم مسلمون، بل يزعمون أنهم هم وحدهم المسلمون الحقيقيون. فهؤلاء القاديانيون لهم ترجمات تفسيرية للقرآن المجيد بعدد من اللغات. وقد نظرت فى بعض تلك الترجمات فألفيتها مفعمة بالأخطاء والانحرافات. لنأخذ مثلا الترجمة التى أشرف على تحريرها ملك غلام فريد بالإنجليزية: فهى تؤوّل كثيرا من الآيات القرآنية الواضحة الصريحة وتلويها عن ظاهرها بحيث تقول ما لا يمكن أن يخطر على بال عاقل. ومن ذلك زعم الكاتب أن قوله سبحانه: {ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ} [الرعد: ٨] يراد به الأنبياء وأقوامهم، إذ عنده أن الناس إما ذكور أو إناث، والذكور هم الذين يؤثرون فى الإناث. والأنبياء هنا هم الذكور، وأقوامهم هم الإناث (انظر الترجمة المذكورة/ ط ٢/ منشورات " مسجد لندن: The London Mosque" / ١٩٨٢م/ ٥١١/ هـ١٤٢٥). أما قوله جل جلاله: " ويعلم ما فى الأرحام " (لقمان/ ٣٤) فمعناه عنده أنه سبحانه يعلم من سيقبلون الإسلام ومن سيرفضونه (ص ٨٦٠/ هـ٢٣١٩). ومثله تفسيره لأبواب جهنم المذكورة فى قوله جل

شأنه: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾} [الحجر: ٤٤] بأنها هى حواس الإنسان السبع: البصر والسمع والشم والذوق واللمس والألم والحرارة (ص ٥٤٤/ هـ١٥٠١). وهو تفسير متعسف، فالحواس ليست سبعا، ومن هنا نراه قد أضاف لها الألم والحرارة، وهما ليسا من الحواس المدرِكَة، بل من الإحساسات المدرَكَة. كذلك فإن هذه الحواس لا تؤدى إلى جهنم فقط، بل تؤدى أيضا إلى الجنة، وذلك حسب طبيعة استعمالنا لها. كما أن القرآن يقول فى موضع آخر للكافرين يوم القيامة: { فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا } [النحل: ٢٩، والزمر: ٧٢، وغافر: ٧٦]، بما يعنى أن لجهنم فعلا أبوابا يدخلها منها الكافرون يوم القيامة.

وعلى نفس الطريق يمضى دائما فى تناوله لآيات الجن والمعجزات ويوم القيامة: لقدذكر القرآن أن بعض الجن قد استمعوا إلى النبى وهو يقرأ القرآن فتفكروا فيه وآمنوا به، فماذا يقول المفسر القادياني فى ذلك؟ إن الجن فى تفسيره ليسوا جنا حسبما نعرف الجن، بل مجموعة من البشر الغرباء من أهل الكتاب (ص ١٠٨٠/ هـ٧٣٣، وص ١٢٦٧/ هـ٣١٣٧). وهو ما يثير السؤال التالى: وهل هؤلاء وحدهم هم كل من استمع إلى النبى من الغرباء وهو يقرأ القرآن وآمن به؟ فلماذا انفرد هؤلاء وحدهم بتسمية الله لهمب " الجن "؟ ثم إذا كانت تسميتهم: " جِنًّا " سببها أنهم غرباء، فلماذا عاد قاديانيُّنا ففسر الجن فى السورة المسماة باسمهم بأنهم هم الكهنة والعرافون؟ (ص ١٢٦٨/ هـ٣١٤٢). كما ورد فى القرآن مثلا فى أكثر من موضع أن عيسى عليه السلام صنع طيرا ثم

نفخ فيه فإذا هو طير حقيقى بإذن الله، ففسره الكاتب بأن المقصود هو اتصال عيسى برجل وضيع تكمن فيه إمكانات الترقى مما جعله يؤمن برسالته ويتحول على يديه من إنسان يتمرغ فى التراب ولا يلتفت لغير حاجاته المادية، إلى طائر، أىْ شخص يحلق عاليا فى سماء الروحانية. أما الطين الذى صُنِع منه ذلك الطير فيشير إلى أن أصل الإنسان من طين. ولكن هل انفرد عيسى وحده بهذا الإنجاز حتى يجعله الله من المعجزات؟ لقد صنع الأنبياء جميعا هذا لا مع شخص واحد أو اثنين، بل مع المئات والألوف، وأحيانا مع عشرات الألوف كما هو الحال فى دعوة الإسلام على يد رسولنا الكريم. وبالنسبة للآيات المتعلقة بيوم القيامة وما يقع فيه من أحداث كنفخ الصُّور وتدهور الشمس وانكدار النجوم وانكشاط السماء وطيّها كما يُطْوَى الكتاب وبعثرة القبور وزلزلة الأرض وصعق من فى السماوات والأرض إلا من شاء الله... إلخ، فيوم النفخ فى الصور لدى ذلك المفسر هو اليوم الذى ينتشر فيه الإسلام ويسود العالم (ص ٢٨٥/ هـ٨٦٣، وص ٨٣٣/ هـ٢١٩٤)، وبعثرة القبور الواردة فى الآية الثالثة من سورة " التكوير " هى فتح قبور الفراعنة فى العصر الحديث، وإخراج الأرض أثقالها كما جاء فى الآية الثانية من سورة " الزلزلة " هو تقدم العلوم، وبخاصة الجيولوجيا والأركيولوجيا واستخراج ما فى باطن الأرض من معادن وثروات (ص ١٣٨٨/ هـ٣٤٠٣). ولا أحسبنى بحاجة إلى التنبيه على ما فى هذه التفسيرات من بهلوانية مقيتة.

وننتقل الآن إلى تفسير البهائيين متمثلا فيما كتبه بهاء الله، أو كُتِب باسمه، فى " كتاب الإيقان "، وهو أحد الكتب المقدسة لدى تلك الطائفة.

وهنـــاك دراســة فــى هــذا الموضــوع بقلــم المستشــرق كرستوفــر بَــكْ (Christopher Buck) منشورة فى موقع "Online Library Bahā'î "، عنوانهـا: " Symbol and Secret: Qur'ān Commentary in Bahā'u'llāh's Kitab - î Îqān". وقد ذكر مؤلف الدراسة أن " كتاب الإيقان " هو فى الواقع تفسير للكتاب المقدس والقرآن الكريم. وما يهمنا منه هو الجزء المتعلق بتفسير القرآن. والملاحظ أن البهاء فى هذا الكتاب يستخدم الأسلوب المتكلّف الذى اشتهر به بعض المتصوفة بما فيه من عثكلة وغموض وطنطنات لا طائل تحتها كما فى الفقرة التالية: " والآن، إجابةً لطلب جنابكم، نجدّد ذكرها في هذه الأوراق بمليح التّغنّيات العراقيّة، لعلّ يهتدي بها عطاش صحارى البعد الى بحر القرب، ويصل الضّالون في فيافي الهجر والفراق الى خيام القرب والوصال حتّى ينقشع غمام الضّلالة وتطلع من أفق الرّوح شمس الهداية المضيئة على العالم. وعلى الله أتّكل، وبه أستعين، لعلّ يجري من هذا القلم ما يحيا به أفئدة النّاس ليقومنّ الكلّ عن مراقد غفلتهم، ويسمعُنّ أطوار ورقات الفردوس من شجر كان في الرَّوضة الأحديّة من أيدي القدرة بإذن الله مغروسًا ". وهذه، كما يرى القارئ، مجرد ألاعيب وطنطنات لغوية لا طائل تحتها، و فيها يصدق المثل القائل: " أسمع جعجعة ولا أرى طِحْنا ".

ويقول: " ولو نظرنا بعين البصيرة المعنويّة نشاهد في الحقيقة أنّ كتاب عيسى وأمره أيضًا قد ثبتا في عهد خاتم الأنبياء. فمن حيث الاسم قال حضرة محمّد: إنّي أنا عيسى ". وهذا أيضا غير صحيح، إذ متى قال النبى محمد ذلك؟ وأين؟ ومما يقوله ايضا، والكلام فيه عن نفسه: " وهذا

المظلوم يذكر فقرة منها، ويمنح عباد الله النّعم المكنونة في السّدرة المخزونة، حبًّا لوجه الله حتّى لا تحرم الهياكل الفانية من الأثمار الباقية، عساهم يفوزون برشح من أنهار حضرة ذي الجلال، المقدَّسة عن الزّوال، والّتي جرت في دار السّلام (بغداد) ولا نطلب على ذلك جزاء ولا أجرًا. {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾} [الإنسان: ٩]. وهذا هو الطّعام الّذي به تحيا الأرواح والأفئدة المنيرة، المائدة الّتي قيل في حقّها: {رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ} [المائدة: ١١٤]. وهذه المائدة لا انقطاع لها أبدًا عن أهلها ولا نفاذ لها، وفي كلّ حين تؤتي أكلها من شجرة الفضل، وتنزل من سماء الرّحمة والعدل كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ} [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥]. لكن السؤال هو: ترى من قال إن المائدة التى اقترحها الحواريون كانت مائدة روحانية؟ وهل كانت دعوة عيسى عليه السلام طعاما وشرابا ماديا حتى يطلب الحواريون طعاما وشرابا من نوع آخر، نوع روحانى؟ وأين الدليل على أنه ينبغى صرف الآية عن ظاهرها الحقيقى؟

ويقول: "وها قد انقضت القرون، ومضت الدّهور والأعصار، ورجع جوهر الرّوح ذاك إلى مقرّ بقاء سلطنته، ونُفِخَت النّفخة الأخرى في الصّور الإلهيّ من النّفس الرّوحانيّ، وحشرت الأنفس الميتة من قبور الغفلة والضّلالة إلى أرض الهداية ومحلّ العناية. وهؤلاء الأقوام ما زالوا منتظرين إلى الآن ظهور هذه العلامات، وبروز ذاك الهيكل المعهود إلى حيّز الوجود، حتّى ينصروه وينفقوا الأموال في سبيله ويفدوا الأرواح في

حبّه، كما ابتعدت الملل الأخرى بهذه الظّنون والأفكار عن كوثر معاني رحمة حضرة البارئ الّتي لا نهاية لها، وشغلوا عنها بتخيّلاتهم وأوهامهم ". وواضح أن البهاء فى هذا النص إنما يؤوّل النفخ فى الصور والقيامة والبعث وما إلى ذلك تأويلات دنيوية يقصد بها إلى القول بأن المراد هو مجيئه لبعث النفوس الضالة التى هى كالميتة. وهذا تلاعب بالنصوص القرآنية وتعمية على عقيدة البعث وصرف لها عن معناها الحقيقى إلى معنى باطل. وعلى كل حال فالإسلام حاسم تماما فى نفى النبوة بعد سيدنا محمد عليه السلام، ومن ثم فكل ما يزعمه البهاء هو كلام لا علاقة له بالسماء والوحى مهما استشهد بالقرآن المجيد ترويجا لمزاعمه وافتراءاته.

ومن كلامه كذلك قوله: " ومن المسلّم أنّه في كلّ ظهور تالٍ تظلم شمس العلوم والأحكام والأوامر والنّواهي الّتي كانت مرتفعة في الظّهور السّابق، والّتي أظلّت أهل ذلك العصر واستناروا من شمس معارفها و اهتدَوْا بقمر أوامرها. أي أنّه ينتهي حكمها وينعدم أثرها... والآن ضع القدم على صراط حقّ اليقين، بعين علم اليقين، وجناحيّ عين اليقين: {قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} [الأنعام: ٩١] حتّى تُحسب من الأصحاب الّذين نزل فيهم: {إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ} [فصلت: ٣٠]، وتشهد ببصرك جميع هذه الأسرار... أي أخي، سر بقدم الروح حتّى تطوى في آن واحد بَوَادِي البعد والهجر النّائية، وتدخل في رضوان القرب والوصال، وتفوز في نَفَسٍ بالأنفس الإلهيّة، لأنّ هذه المراحل لا تُطْوَى أبدًا بقدم الجسد، ولا يوصَل بها إلى المقصود. والسّلام

على من أتّبع الحقّ بالحقّ، وكان على صراط الأمر في شاطئ العرفان باسم الله موقوفًا. هذا هو معنى الآية المباركة: {فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ} [المعارج: ٤٠]، وذلك لأنّ لكلّ شمس من هذه الشّموس المذكورة محلّ شروق ومحلّ غروب. وحيث أنّ علماء التّفسير ما اطّلعوا على حقيقة هذه الشّموس المذكورة، لهذا تحيّروا في تفسير هذه الآية المباركة. فالبعض ذكر فيها " أنّه لمّا كانت الشّمس في كلّ يوم تطلع من نقطة غير النّقطة الّتي طلعت منها في يوم أمس، فقد ذُكِرَتْ بلفظ الجمع "، والبعض ذكروا بأنّ المقصود من ذلك هو الفصول الأربعة، الّتي في كلّ فصل منها تطلع الشّمس من محلّ، وتغرب في محلّ آخر، لهذا قد ذُكِرَتْ بلفظ المشارق والمغارب. هذه مراتب علم العباد. ومع ذلك فكم ينسبون من الجهل والعيوب إلى الذين هم جواهر العلم ولطائف الحكمة "... كذلك فأَدْرِك واعْرِف من هذه البيانات الواضحة المحكمة المتقنة غير المتشابهة معنى انفطار السماء، الّذي هو من علامات السّاعة والقيامة. ولهذا قال تعالى: {إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١} [الانفطار: ١]، إذ المقصود هنا سماء الأديان، الّتي ترتفع في كلّ ظهور، ثمّ تنشقّ وتنفطر في الظّهور الّذي يأتي بعده. أي أنّها تصير باطلة ومنسوخة. قسمًا بالله لو تلاحظ ملاحظةً صحيحة لترى أنّ تفطّر هذه السّماء أعظم من تفطّر السّماء الظّاهرة. تأمّل قليلاً، كيف أنّ الدّين الّذي ارتفع سنينًا ونشأ ونما في ظلّه الجميع وتربّوا بأحكامه المشرقة في تلك الأزمنة ولم يسمعوا من آبائهم وأجدادهم إلاّ ذكره بدرجة لم تدرك العيون أمرًا غير نفوذ أمره، ولم تسمع الآذان إلا أحكامه، ثمّ تظهر بعد ذلك نفسٌ تفرّق وتمزّق كلّ هذا بقوّة وقدرة إلهيّة،

بل قد تنفيه كلّه وتنسخه. فكّر بربّك أيُّهما أعظم: أهذا أم ذاك الّذي تصوّره هؤلاء الهمج الرّعاع من تفطُّر السّماء؟ وأيضًا تفكَّرْ في مصاعب ومشقّات أولئك الطّلعات الّذين أقاموا حدود الله أمام جميع أهل الأرض من غير ناصر ولا معين في الظّاهر، ومع ما ورد على أولئك الوجودات المباركة اللّطيفة الرّقيقة من كلّ أذى، فإنّهم صبروا بكمال القدرة، وتحمّلوا بنهاية الغلبة ". وفى السطور الماضية يحاول البهاء من طَرْفٍ خفيٍّ أن يوحى بأن الإسلام قد انتهى أمره بمجيئه هو، ولم يعد له حق فى الوجود بعد ظهور البهائية، وذلك رغم ما يبديه من احترام مغشوش لمحمد ودينه والكتاب الذى نزل عليه. وهو احترام مغشوش لأنه يهدف إلى القضاء على الإسلام من خلال تمييع النصوص القرآنية وتأويلها تأويلا فاسدا كما هو بين جليٌّ حتى للأعمى.

ويقول أيضا: " كذلك اعرَف معنى تبديل الأرض، الّذي هو عبارة عن تبديل أراضي القلوب بما نزل عليها من أمطار المكرمة الهاطلة من غمام الرّحمة من تلك السّماء، إذ تبدَّلت أراضيها بأرض المعرفة والحكمة. فكم نبت في رياض قلوبهم من رياحين التوحيد، وكم تفتَّح في صدورهم المنيرة من شقائق حقائق العلم والحكمة. وإذا لم تكن أراضي قلوبهم قد تبدَّلت، فكيف يقدر رجال ما تعلَّموا حرفًا، وما رأوا معلِّمًا، وما دخلوا أيَّة مدرسةٍ، أن يتكلّموا بكلماتٍ ومعارفَ لا يستطيع أحدٌ أن يدركها، بل كأنّهم قد خلقوا من تراب العلم السّرمديّ، وعُجِنوا من ماء الحكمة اللّدنّيّة. ولهذا قيل: " العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء ". وهذا النّوع من العلم هو الّذي كان ولا يزال ممدوحًا، لا العلوم المحدودة

الحادثة من الأفكار المحجوبة الكدرة، الّتي تارة يسرقونها من بعض، ويفتخرون بها على الغير... فيا ليت صدور العباد تتقدَّس وتتطهَّر من نقوش هذه التّحديدات والكلمات المظلمة، لعلَّ تفوز بتجلّي أنوار شمس العلم والمعاني، وجواهر أسرار الحكمة اللّدنّيّة. فانظر الآن، لو لم تتبدّل الأراضي الجـرُزة لهذه الوجودات، كيف يمكن أن تصبح محلاً لظهور أسرار الأحديَّة، وبروز جواهر الهويَّة. ولهذا قال تعالى:{ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ} [إبراهيم: ٤٨]. كذلك بفضل نسمات جود سلطان الوجود حتّى الأرض الظّاهرة قد تبدَّلت لو أنتم في أسرار الظّهور تتفكَّرون. وهكذا فأدرك معنى هذه الآية الّتي تقول:{وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧]. وهنا يجب الإنصاف قليلاً، لأنّه لو كان المقصود منها ما أدركه النّاس، فأيّ حسن يترتّب على ذلك؟ فضلاً عن أنه من المسلَّم به أنّه لا ينسب إلى ذات الحقّ المنيع يدٌ مرئيّة بالبصر الظّاهر تعمل هذه الأمور، لأنّ الإقرار بمثل هذا الأمر يكون كفرًا محضًا، وإفكًا صرفًا. وإذا قلنا أنّ هذا يرجع إلى مظاهر أمره الّذين يكونون مأمورين بهذا الأمر في يوم القيامة، فإنّ هذا أيضًا يكون بعيدًا للغاية، ولا يأتي بفائدة بل أنّ المقصود من الأرض هو أرض المعرفة والعلم، ومن السّموات هو سموات الأديان. فانظر الآن كيف أنّ أرض العلم والمعرفة الّتي كانت مبسوطة من قبل، قد قبضها بقبضة القدرة والاقتدار، وبسط أرضًا منيعة جديدة في قلوب العباد، وأنبت رياحين جديدة، وورودًا بديعة، وأشجارًا منيعة في الصّدور المنيرة ". وهنا كذلك نرى البهاء يلجأ إلى لعبة التّأويل الباطلة محولا معنى تبدل

الأرض والسماوات من تشكل العالم يوم القيامة على نحو جديد، إلى الزعم بأن المقصود مجيئه بدين جديد هو دين البهائية.

ولنمض فى القراءة: " وكذلك فانظر كيف قد طويت بيمين القدرة سماوات الأديان المرتفعة من قبل، وارتفعت سماء البيان بأمر الله، وتزيّنت بالشّمس والقمر والنّجوم من أوامره البديعة الجديدة. هذه أسرار الكلمات قد أصبحت مكشوفة وظاهرة بغير حجاب، لعلَّ تدرك صبح المعاني، وتطفئ سرج الظّنون والوهم، والشكّ والرّيب، بقوّة التّوكّل والانقطاع، وتوقد في مشكاة قلبك وفؤادك مصباح العلم واليقين الجديد... واعلم بأنّ المقصود من جميع هذه الكلمات المرموزة، والإشارات العويصة الظّاهرة من المصادر الأمريّة إنْ هو إلاّ امتحان للعباد كما قد ذُكر، حتّى تُعْرَف أراضي القلوب الجيّدة المنيرة من الأراضي الجُرُزة الفانية. هذه سُنَّة الله بين عباده في القرون الخالية. يشهد بذلك ما هو مسطور في الكتب ". ومرة أخرى من الواضح أن البهاء يرمى إلى تمييع معانى الآيات وطمس عقيدة البعث والزعم بأن المقصود من وراء ذلك كله هو الإشارة إلى مجيئه هو نبيا تجلت فيه الروح الإلهية. وهيهات أن يكون هذا هو معنى الآيات التى أوردها فى السطور السابقة، فإن سياقها ساطع تمام السطوع، ولا يمكن أن يكون هناك أى ريب بشأنها، إذ هى فى الكلام عن الدمار الذى سيصيب الكون قبيل القيامة والبعث قبل أن يقوم الناس من مراقدهم ويعاد تركيب الكون بأشيائه وأحيائه على نحو مختلف كما تكرر فى القرآن الكريم فى عدد غير قليل من السور.

وفى موضع آخر نراه يَكْتُب أو يُكْتَب له: " أمّا قوله (أى قول يسوع

كما جاء في العهد الجديد): إنّه يأتي على السّحاب والغمامِ، فالمراد من الغمام هنا هو تلك الأمور المخالفة لأهواء النّاس وميولهم، كما ورد في الآيـــــة: {أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة: ٨٧]، وذلك من قبيل تغيير الأحكام وتبديل الشّرائع وارتفاع القواعد والرّسوم العاديّة وتقدُّم المؤمنين من العوام على المعرضين من العلماء. وكذلك يقصد به ظهور ذلك الجمال الأزليّ خاضعًا للحدودات البشريّة، مثل الأكل والشرب، والفقر والغنى، والعزَّة والذّلّة، والنّوم واليقظة، وأمثال ذلك ممّا يثير الشّبهة عند النّاس ويحجبهم. فكلّ هذه الحجبات قد عبّر عنها بالغمام. وهذا هو الغمام الّذي به تتشقّق سماوات العلم والعرفان لكلّ من على الأرض كما قال تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ} [الفرقان: ٢٥]. وكما أنّ الغمام يمنع أبصار النّاس عن مشاهدة الشّمس الظّاهرة، كذلك هذه الشّؤونات المذكورة تمنع العباد عن إدراك شمس الحقيقة. يشهد بذلك ما جاء في الكتاب عن لسان الكفّار: {وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾} [الفرقان: ٧] حيث قد لوحظ على الأنبياء فقر وابتلاء ظاهريّ، كما لوحظ أيضًا فيهم مستلزمات الجسد العنصريّة من قبيل الجوع والأمراض والحوادث الإمكانيّة. ولمّا كانت تظهر هذه الشّؤون من تلك الهياكل القدسيّة كان النّاس يتيهون في فيافي الشّكّ والرّيب، ويهيمون في بوادي الوهم والحيرة مستغربين: كيف أنّ نفسًا تأتي من جانب الله وتدّعي إظهار الغلبة على كلّ من على الأرض، وتنسب إلى نفسها أنّها علّة خلق الموجودات كما قال: " لَوْلاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلاكَ "، ومع ذلك

تكون مبتلية بهذه الأمور الجزئيّة بتلك الكيفيّة، كما قد سمعت من قبيل ابتلاء كلّ نبيّ وأصحابه بالفقر والأمراض والذّلّة حيث كانوا يرسلون رؤوس أصحابهم إلى المدائن كهدايا، ويمنعونهم عن إظهار ما أُمِروا به. وكلّ واحد منهم كان مبتلي تحت أيدي أعداء الدّين بدرجة أنّهم صنعوا بهم كلّ ما أرادوا أن يصنعوه. ومن المعلوم أنّ التّغييرات والتّبديلات الّتي تقع في كلّ ظهور هي عبارة عن ذاك الغمام المظلم الّذي يحول بين بصر عرفان العباد ومعرفتهم تلك الشّمس الإلهيّة الّتي أشرقت من مشرق الهويّة، وذلك لأنّ العباد باقون على تقليد آبائهم وأجدادهم هذه السّنين الطّويلة، ومتربّون على الآداب والطّرائق الّتي كانت مقرَّرة في الشّريعة القديمة. ثمَّ دفعة واحدة يسمعون أو يَرَوْن شخصًا مماثلاً لهم في جميع الحدودات البشريّة يقوم من بينهم وينسخ تلك الحدودات الشّرعيّة الّتي تربَّوْا عليها قرونًا متواترة، وكانوا يَعُدّون المخالف والمنكر لها كافرًا وفاسقًا وفاجرًا. فلا بدَّ أنّ هذه الأمور تكون حجابًا وغمامًا للّذين لم تذق قلوبهم سلسبيل الانقطاع، ولم تشرب من كوثر المعرفة، ويحتجبون عن عرفان تلك الشّمس بمجرّد استماعهم لهذه الأمور. وبدون سؤال ولا جواب يحكمون بكفره ويفتون بقتله كما قد عرفت وسمعت ممّا وقع في القرون الأولى، وممّا هو واقع في هذا الزّمان أيضا ممّا شاهدته. إذًا ينبغي لنا أن نبذل الجهد حتّى أننا بفضل التأييدات الغيبيَّة لا نُحْرَم بهذه الحجبات الظّلمانيّة وغمام الامتحانات الربّانيّة عن مشاهدة ذاك الجمال النّورانيّ، ونعرفه هو بنفسه لا بشيء آخر. وإذا ما أردنا حجّة فنكتفي بحجّة واحدة وبرهان واحد حتّى نفوز بمنبع الفيض اللاّمتناهي الّذي في

ساحته تنعدم جميع الفيوضات الأخرى. لا أنّنا في كلّ يوم نعترض باعتراض من خيالنا أو نتمسّك برأي على حسب أهواء أنفسنا. سبحان الله، رغمًا من كلّ هذه الإنذارات الّتي أخبروا عنها من قبلُ بتلويحات عجيبة وإشارات غريبة كي يطّلع عليها كلّ الناس ولا يحرمون أنفسهم في هذا اليوم عن بحر بحور الفيوضات، مع ذلك فقد وقع في الأمر ما وقع مما هو مشهور، ونزلت بمضامينه الآيات الفرقانيّة كما قال تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ} [البقرة: ٢١٠]. وبعض علماء أهل الظاهر جعلوا هذه الآية من علامة القيامة الموهومة الّتي يتصورونها. والحال إنّ مضمونها موجود في أكثر الكتب السّماويّة، ومذكور في كلّ الأماكن الّتي فيها ذِكْر علامات الظّهور الّذي يأتي بعده كما ذكرنا من قبل... {يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾} [الدخان: ١٠ - ١١]، يريد بها أنّ ربَّ العزّة قد جعل الأمورات المضادّة للأنفس الخبيثة والمخالفة لأهواء النّاس محكًّا وميزانًا لامتحان عباده، وتمييزًا للسّعيد من الشّقي، والمعرض من المقبل كما قد ذُكِر. وقد عبّر بالدُّخَان في هذه الآية المذكورة عن الاختلافات في الرّسوم العاديّة، وعن نسخها وهدمها وانعدام أعلامها المحدودة. فأيّ دخان أعظم من هذا الدّخان الّذي غَشِيَ كلّ النّاس وأصبح عذابًا لهم لا يستطيعون منه خلاصًا مهما حاولوا. بل إنّهم في كلّ حين يعذَّبون بعذاب جديد من نار أنفسهم ".

هذا ما يقوله البهاء. لكن القرآن، حين يقول إن السماء سوف تتشقق بالغمام، فإنه يعنى أن ذلك هو ما سيحدث يوم القيامة لا أن هناك ظهورا دينيا جديدا سوف يأتى فيزيل عن العقول أغشيتها، وعندئذ يمكنها الرؤية

الصحيحة الواضحة على أساس أن الغمام كان يحجب شمس الحقيقة، ثم تشققت السماء بالغمام عن تلك الشمس فظهر ما كان مستورا من الحقائق. وهذا خبط بلا أى دليل، إذ بافتراض أن الشمس والغمام فى الآية على المجاز لكان ينبغى أن يقال مثلا: " ويوم ينقشع الغمام عن وجه الشمس "، أما " يوم تشقق السماء بالغمام " فهذا لا يدل على ما يزعمه البهاء. ثم إن السياق كله هو سياق الحديث عما يقع فى آخر الزمان عند القيامة. كما ذكر القرآن أن ذلك اليوم سوف يكون يوما على الكافرين عسيرا يَعَضّ فيه الظالم على يديه ويتمنى لو لم يتخذ فلانا من الناس خليلا لأنه أضلّه عن الذكر والهدى. فمتى قال الكفار ذلك أو ندموا وعَضّوا على أيديهم حين مجىء البهاء؟ الحق أن الكفار ما زالوا فى بحبوحة واطمئنان ولامبالاة حتى الآن رغم مجئ البهاء وموته وشِبَعه موتا منذ أكثر من مائة عام. وأخيرا وليس آخرا هل هناك حديث قدسى أو نبوى يقول إن الله سبحانه إنما خلق الدنيا بأفلاكها من أجل الرسول عليه السلام، وهو الحديث الذى يشير إليه البهاء بعبارة " لولاك لما خلقت الأفلاك " ؟

باختصار هذا التفسير الذى يقدمه البهاء فى " كتاب الإيقان " لا علاقة له بالتفسير من قريب أو من بعيد، بل هو مجرد عبث بهلوانى يريد به إيهام الناس أنه مذكور فى القرآن وأن عليهم الإيمان بأنه رسول من عند الله. ولكن هيهات! وأرجو ألا يفوت القارئ مدى غرابة اللغة التى يستخدمها حتى فى غرامه الغريب بإضافة الألف والتاء إلى جمع التكسير معا للجمع كما كنا نفعل ونحن صغار، إذ نقول عن الكُتُب: " كُتُبات ". ومن ذلك عنده " أُمُورات، حُجُبات، فُيُوضات، حُدُودات، شُؤُونات "، إلى

جانب الأخطاء اللغوية الواضحة كقوله: " المبتَلِيَة " بدلا من " المبتلاة "، ومثلها: " كل واحد منهم كان مُبْتَلِي " بدلا من " مُبْتَلًى "، والأخيرة من كلام العوامّ. و " لعل يدرك "، " لعلَّ تفوز " بدلا من " لعله يدرك "، " لعلَّها تفوز "، وقوله: " والحال إنّ مضمونها موجود " بدلا من " والحال أن مضمونها موجود "، و " نعم أنها... " بدلا من " نعم إنها "، و " إذا قلنا أنّ هذا يرجع إلى مظاهر أمره الذين يكونون مأمورين بهذا الأمر في يوم القيامة، فإنّ هذا أيضًا يكون بعيدًا للغاية، ولا يأتي بفائدة بل أنّ المقصود من الأرض هو أرض المعرفة والعلم " بدلا من " قلنا إن "، و " بل إن " بكسر الهمزة فى الحالين، و " الأراضي الجُرُزة " بدلا من " الجُرُز "، وقوله: " وحيث أن " بدلا من " وما دام الأمر كذا وكذا و " جناحىّ عين اليقين " بدلا من " جناحَىْ عين اليقين ". وهذا كله غير تفيهقاته المتكلَّفة من مثل قوله: " والآن ضع القدم على صراط حقّ اليقين، بعين علم اليقين، وجناحيّ عين اليقين "، وهو ما أخذناه من قبل على بعض مفسرى الصوفية.

ثم نصل إلى أهل الاستشراق، وسوف نكتفى بأمثلة من الترجمات القرآنية لثلاثة من أشهر المستشرقين الفرنسيين. وأولهم سافارى، الذى يسخر من عقيدة الجنة فى القرآن ويتهكم بالمسلمين، أو " المحمديين: Mahométans " كما يسميهم، قائلا إنهم ناس حسيون، لأن فى الجنة طعامًا وشرابًا وأشجارًا وحليًّا وحريرًا وحُورًا عِينًا (انظر ترجمة سافارى للقرآن الكريم/ طبعة Garnier Frères / باريس/ ١٨٨٣م/ ٢٠٢/ هـ١)، وكأنه هو وأمثاله من الغربيين لا يحبون الطعام الشهى ولا المرأة

الجميلة ولا الجواهر النفيسة ولا الملابس الأنيقة ولا الظلال الوارفة. فإذا كان ذلك كذلك، وهو بكل يقين ليس كذلك، فمن هم يا ترى الذين يعتدون على بلاد الآخرين ويعملون على كَسْح ثرواتها وضَخّها إلى خزائنهم كى يستمتعوا بها هم وأبناؤهم؟ بالتأكيد ليسوا هم المسلمين. وبالنسبة إلى الاتهام الذى كان مشركو قريش يتهمون به النبى ﷺ زاعمين أن القرآن إنما هو شِعْرٌ من الشِّعْر يقول سافارى إن ذلك الاتهام " لم يكن قائما على غير أساس، فالقرآن مؤلف من آيات، والسور الأولى منه نثر مقفًّى، أما السور الأخيرة فبعضها شعر صريح " (ص ٤٤٢/ هـ١). ولا أدرى أين العلاقة بين كون القرآن ذا فواصل، وهو ما يسميه المستشرق الفرنسى: " نثرا ذا قواف "، وبين دعوى المشركين بأنه ليس إلا شعرا. كذلك فزعمه أن بعض السور الأخيرة فى القرآن المجيد شعرٌ هو زعم لا رأس له ولا ذيل.

أما إدوار مونتيه، وهو مستشرق سويسرى قام بترجمة القرآن إلى الفرنسية مع تحشيتها بكثير من الملاحظات والتفسيرات والانتقادات، وهو ما يهمنا هنا، فمما قاله فى تفسير القرآن أن قوله تعالى:{قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦} [البقرة: ١٣٦] يدل على سمو فكر. يقصد أن الرسول عليه السلام كان واسع الأفق فدعا المسلمين من ثم إلى إعلان إيمانهم بكتب اليهود والنصارى ومساواتها بالقرآن (انظر ترجمته للقرآن الكريم/ طبعة Payot / باريس/ ١٩٢٩م/ ٩٦/ هـ٣). وهذا خطأ، فالرسول كان المثال

الأعلى لسعة الأفق لا مشاحة فى هذا، لكن ليس معنى هذا أن الوحى الذى نزل عليه قد سوى بين القرآن وكتب اليهود والنصارى، بل بين القرآن والتوراة والإنجيل من حيث إنها جميعا وحى السماء. وثم فرق كبير فى القرآن بين الكتب التى فى أيدى اليهود والنصارى الآن وبين التوراة والإنجيل، فتلك شىء، وهذان شىء آخر كما يعرف ذلك كل من يعرف الإسلام. ثم إن مجىء محمد عليه السلام يوجب أن يؤمن به من يريد النجاة فى الآخرة.

كذلك يرى مونتيه أن هناك تناقضا بين قوله تعالى: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ} [البقرة: ٢٨٥] وبين الآية ٢٥٣ من نفس السورة، وهى: {تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ} [البقرة: ٢٥٣]. وهو تناقض لا وجود له إلا فى عقل المستشرق السويسرى، إذ التفرقة التى يتبرأ منها المسلمون فى الآية الكريمة هى الإيمان ببعض المرسلين والكفر ببعضهم الأخر، وهذا شىء والاعتقاد بأن الله فضل بعض النبيين على بعض شىء آخر كما لا يخفى على أى صاحب لُبّ. وبقية الآية توضح هذا تمام التوضيح، فهى تجرى كالتالى: {ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ} [البقرة: ٢٨٥]. ومثلها قوله تعالى فى الآيتين ١٥٠ - ١٥١ من سورة " النساء ": {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا} [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

ومن التناقضات الموهومة التى يعزوها مونتيه إلى القرآن أيضا

التناقض الذى يتخيله بين قوله تعالى:{ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ } [الأنبياء: ٣٤] وبين ما جاء فى القرآن من أن البشر مخلدون جميعا: إما فى الجنة وإما فى النار، فكيف يقال عن محمد إن الله لم يجعل لأحد من البشر قبله الخلد؟ ومن هنا نراه يزعم أن الآية قد تكون منحولة، وأنها على كل حال لم تسلم من العبث، وأن معناها يصعب الوصول إليه (ص ٤٤٩/ هـ١). والواقع أن الآية تخلو تماما من أى تناقض أو غموض، فهى تؤكد أن النبى سيموت كما يموت سائر البشر، لا فرق بينه وبينهم. فالله لم يجعل لأحد قبله الخلود فى الدنيا، وهو نفسه ميت ولا خلود له فيها، والمشركون سائرون فى نفس الطريق: طريق الموت وعدم الخلود فى دنيانا هذه. أما خلود أهل الجنة والنار فهذا أمر مختلف. الكلام فى آيتنا هذه عن الخلود فى الدنيا، بمعنى بقاء الإنسان دون موت، وهو مستحيل بطبيعة الحال. أما الخلود فى الآخرة فمسألة أخرى لا تتحدث عنها الآية، وذلك واضح تمام الوضوح.

وفى قوله تعالى عن الحُور العِين:{ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ } [الصافات: ٤٩] نجد المستشرق السويسرى يظن أن الضمير: " هنّ " (فى " كأنهن ") يعود على عيون الحور العين لا على الحور العين أنفسهن. ليس ذلك فحسب، بل يضيف أنه " بيض من نوع فاخر: des oeufs de choix" (٥٩٩/ هـ١). ومعنى هذا أن عيون أولئك الحوريات تشبه البيض. ولكن هل هناك عيون على هذه الشاكلة العجيبة والقبيحة إلا عيون بعض العميان، والعياذ بالله؟ وكأن هذا الخلط غير كاف، فنراه يمضى قائلا إن تشبيه العيون بالبَيْض موجود فى الشعر الشرقى. فهل هناك شعر شرقى:

عربى أو غير عربى يشبّه فيه صاحبه عيون النساء بالبَيْض؟

أما المستشرق الفرنسى ريجى بلاشير فإن له فى تفسير القرآن الكريم لعجائب: فمن ذلك على سبيل المثال تأكيده أن المسجد الأقصى المذكور فى الآية الأولى من سورة " الإسراء " ليس هو المسجد الموجود فى فلسطين، بل كان يعنى عند معاصرى محمد مسجدا فى السماء، أما المعنى الحالى للكلمة فلم يُعْرَف إلا فى عصر بنى أمية (انظر ترجمته للقرآن الكريم/ Librairie Orientale et Americaine / باريس/ ١٩٥٧م/ ٣٠٥/ هامش الآية ١). وكل هذا بلا أدنى دليل، بل كل ما هنالك " أن الأمر يبدو هكذا " على حد تعبيره. ومثله دعواه بأن الرجال المذكورين فى الآيات ٣٦ - ٣٨ من سورة " النور ":{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ } [النور: ٣٦ - ٣٨].

هم بعض الرهبان النصارى (ص ٣٨١/ هامش الآية ٣٧). وهذا لا يمكن أن يكون صحيحا، إذ كيف يناقض القرآن نفسه ويُثْنِى على من لا يؤمنون به ولا بالرسول عليه السلام؟ ثم كيف يقول بلاشير ذلك، ونحن نعرف أن هناك خلافات شديدة بين الإسلام والنصرانية فى العقائد والعبادات والتشريعات؟ فهل يمكن أن يتجاهل القرآن هذا كله ويقع منه ثناء مثل ذلك الثناء الذى يدّعيه بلاشير؟ علاوة على أنه لا ذكر فى السورة كلها إلا للمسلمين وأمورهم، ولا كلام عن الرهبان أو النصرانية

بأى حال.

وفى قوله جل شأنه: { وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾} [سبأ: ٢٨] يزعم بلاشير أنه لا يدل على أن رسالة النبى عليه السلام هى للناس جميعا: عربا وغير عرب، وأن القول بذلك تحميل للآية ما لا تحتمل (ص ١٥٣/ هامش الآية ٢٧). كيف؟ لا جواب. هو هكذا، والسلام! وبالمثل نراه يعترض على تفسير " سِدْرَة المنتهى " فى الآية ١٤ من سورة " النجم " بأنها شجرة سماوية، مرجحا وراء المستشرق الإيطالى كايتانى أن المراد مكان قرب مكة، وأن " جنة المأوى " التى ذكرت الآية التالية أنها عند تلك السدرة ليست إلا فيلاً تحيط بها حديقة عند أطراف مكة (ص ٥٦٠/ هامش الآيتين ١٤ - ١٥ من سورة " النجم "). وهذا كلام عجيب وشاذ أشدّ الشذوذ وأسخفه كما يرى القارئ! بل إنه قد أضاف إلى سورة " النجم " الجملتين المسمّاتين بـ " آيَتَيِ الغرانيق "، وهما الجملتان اللتان تقول بعض الروايات إنهما قد دُسَّتا على تلك السورة، وإن كانت لم تُثْبَتا فى المصحف بتاتا. وهذا بلا شك عمل غير أخلاقى وغير علمى، لأن المصحف الذى قام بلاشير بترجمته ليس فيه، ولم تكن فيه فى أى يوم من الأيام، تانك الجملتان. فهو إذن قد عبث بالنص ولم يحترمه، وهذا سلوك مخالف للمنهج العلمى تمام المخالفة. ولما كنا قد سبق فى هذه الدراسة أن رَدَدْنا هاتين الجملتين وأثبتنا أنهما لا يمكن أن تكونا من القرآن الكريم: لا من الناحية التاريخية ولا من الناحية النفسية ولا من الناحية النصية ولا من الناحية الأسلوبية، فنحن إذن فى غُنْيَةٍ عن تناولهما هنا مرة أخرى.